

شرح رياض الصالحين

باب الوصية بالنساء

شرح حديث أبي هريرة: "استوصوا بالنساء خيراً"

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((استوصوا بالنساء خيراً؛ فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهب تقيمه كسرتة، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء))؛ متفق عليه.

وفي رواية في "الصحيحين": ((المرأة كالضلع؛ إن أقمته كسرتها، وإن استمتع بها، استمتع وفيها عوج)).

وفي رواية لمسلم: ((إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتع بها استمتع بها وفيها عوج، وإن ذهب تقيمها كسرتها، وكسرها طلقها)).

قوله: ((عَوَجٌ)) هو بفتح العين والواو.

قال سَمَاحَةُ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ ابْنِ عَثِيمِينَ - رَحِمَهُ اللهُ :-

ذَكَرَ المَوْئِفَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِيمَا نَقَلَهُ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي مَعَاشِرَةِ النِّسَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا))؛ يَعْنِي: اقْبَلُوا هَذِهِ الوَصِيَّةَ الَّتِي أُوصِيكُمْ بِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ تَفْعَلُوا خَيْرًا مَعَ النِّسَاءِ؛ لِأَنَّ النِّسَاءَ قَاصِرَاتٌ فِي العُقُولِ، وَقَاصِرَاتٌ فِي الدِّينِ، وَقَاصِرَاتٌ فِي التَّفَكِيرِ، وَقَاصِرَاتٌ فِي جَمِيعِ شَأُونِهِنَّ؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ.

وَذَلِكَ أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَلَقَهُ اللهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَلَا أُمٍّ، بَلْ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ، وَلَمَّا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَبْنِيَّ مِنْهُ هَذِهِ الخَلِيقَةَ، خَلَقَ مِنْهُ زَوْجَهُ، فَخَلَقَهَا مِنْ ضِلَعِهِ الأَعْوَجِ، فَخُلِقَتْ مِنَ الضِّلَعِ الأَعْوَجِ، وَالضِّلَعُ الأَعْوَجُ إِنْ اسْتَمْتَعَتْ بِهِ اسْتَمْتَعَتْ بِهِ وَفِيهِ العَوَجُ، وَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ انكسَرَ.

وَفِي هَذَا تَوْجِيهًا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَعَاشِرَةِ الإِنْسَانِ لِأَهْلِهِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمُ العَفْوَ وَمَا تَيْسَّرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذْ

الْعَفْوِ ﴿ [الأعراف: 199]؛ يعني ما عفا وسهّل من أخلاق الناس ﴿ وَأُمِرُ
بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: 199].

ولا يمكن أن تجد امرأة مهما كان الأمر سالمةً من العيب مائة بالمائة،
أو مواتية للزوج مائة بالمائة، ولكن كما أرشدَ النبي عليه الصلاة
والسلام استمتع بها على ما فيها من العوج.

وأيضًا إن كرهتَ منها خُلُقًا رَضِيتَ منها خُلُقًا آخَرَ، فقابلِ هذا بهذا مع
الصبر، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 19].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
((لا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً؛ إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا، رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))، أو قال:
((غَيْرَهُ))؛ رواه مسلم.

قال سَمَاحَةُ الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ ابْنِ عَثِيمِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ :-

ذكر المؤلف رحمه الله فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يَفْرَكُ مؤمنٌ مؤمنةً؛ إن كرهَ منها خُلُقًا، رَضِيَ منها خُلُقًا آخَرَ)).

الفَرْكُ: يعني البغضاء والعداوة، يعني لا يُعادي المؤمن المؤمنة كزوجته مثلاً، لا يُعاديها ويُبغضها إذا رأى منها ما يكرهه من الأخلاق؛ وذلك لأن الإنسان يجب عليه القيام بالعدل، وأن يراعي المعامل له بما تقتضيه حاله، والعدل أن يوازن بين السيئات والحسنات، وينظر أيهما أكثر، وأيهما أعظم وقعًا، فيغلب ما كان أكثر وما كان أشد تأثيرًا؛ هذا هو العدل.